**المنهج البنيوي .. المنطلقات والمميزات**

**نشأته ومرجعياته الفكرية:**  
لا يمكن فهم البنيوية باعتبارها اتجاها فكريا وفلسفيا دون تحديد السياق العام الذي تشكلت فيه، ذلك أن الفترة التي ظهرت فيها تميزت بحضور تيارات لها مكانتها المتميزة في الفكر والمجتمع، من قبيل الماركسية والوجودية والظاهراتية .. ومن ثمة "لم ينبثق المنهج البنيوي في الفكر الأدبي والنقدي وفي الدراسات الإنسانية فجأة، وإنما كانت له إرهاصات عديدة تخمرت عبر النصف الأول من القرن العشرين في مجموعة من البيئات والمدارس والاتجاهات المتعددة والمتباينة مكانا وزمانا" وهو ما يضعنا أمام مصادر متنوعة لهذا المنهج، منها على وجه الخصوص:

**أـ اللسانيات:**  
ارتبطت اللسانيات ـ أو ما يطلق عليه أيضا علم اللغة ـ بالعالم اللغوي السويسري "فردناند دي سوسير" في كتابه "دروس في اللسانيات العامة" والذي نشره طلبته عام 1916 بعد وفاته، وذلك من خلال دعوته إلى دراسة اللغة دراسة علمية وصفية في ذاتها ومن أجل ذاتها، عبر البحث في نظامها ونسقها، وتمييزه بين اللغة والكلام وبين الدياكرونية والسانكرونية، واعتباره اللغة تمثل نظاما من العلامات تنبني على دال ومدلول بينهما علاقة اعتباطية. ومن ثمة تميزت البنيوية بتحركها " على أساس من النموذج اللغوي عند "دي سوسير"

**ب ـ النقد الجديد:**  
وقد برز في إنجلترا في العشرينات والثلاثينيات والولايات المتحدة الأمريكية خلال أربعينات وخمسينات القرن العشرين، مع عدد من النقاد الذين دعوا إلى الاهتمام بالمكونات اللغوية للنصوص الأدبية، فذهب "عزرا باوند" إلى أن الشعر هو نوع من الرياضيات، وأنه لا حاجة فيه للمضمون، وإنما المهم هو القالب الشعري كما تصور ذلك "هيوم"، بل إنه لا هدف للشعر سوى الشعر ذاته حسب ما قدمه "جون كرو رانسوم"

**ج ـ الشكلانيون الروس:**  
تعتبر الأفكار التي قدمتها "مدرسة الشكلانيين الروس" في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، حين ترجم "تزيفتان تودوروف" نصوصهم إلى الفرنسية، أحد أبرز مصادر المنهج البنيوي. ذلك أنها ظهرت في روسيا خلال الفترة الممتدة من 1915 إلى 1930، فخلقت الحدث آنذاك حين دعت إلى الاهتمام بالعلاقات الداخلية للنص الأدبي، وحاول أعضاؤها تأسيس علم أدبي مستقل يدرس الخاصيات النوعية للموضوعات الأدبية، معتمدين المقاربة التزامنية سبيلا للكشف عن الطبيعة اللغوية للأدب، فعزلوا الأدب عن أي معطى خارجي يرتبط بالتاريخ أو الأفكار أو الفلسفة أو المجتمع، بينما ركزوا على دراسة الشكل الأدبي ودلالاته، ليؤكد "جاكبسون" أن "موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنما الأدبية Littérarité أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا" أمام هذا التوجه، وجد الشكلانيون في اللسانيات علما يمكنهم من استقصاء المظاهر اللغوية للنصوص الأدبية، وهذه المظاهر وحدها هي التي تشكل أدبية الأدب، وليست تلك المعطيات التي تأخذ بعين الاعتبار موقع النص في الواقع. وتتحدد أهم المنطلقات اللسانية ـ التي اعتمدتها المدرسة الشكلانية في ممارستها النقدية والنظرية الأدبيتين ـ في التمييز بين "اللغة الشعرية" و"اللغة اليومية"، وتناول قضية "الشكل والمضمون" والحسم فيها، بحيث إن اللغة اليومية تضطلع بأهداف تواصلية لا غير، بينما تركز اللغة الشعرية على القيمة الجمالية المستقلة للمكونات اللسانية. أما ثنائية الشكل والمضمون فقد رفضتها المدرسة، ورأت أن هذا المضمون يمثل هو الآخر شكلا ومفهوما لا يخرج عن حدود الشكل، ومن ثمة فالشكل الجديد حين يظهر ليست الغاية منه التعبير عن مضمون جديد، وإنما يعكس بديلا "يحل محل الشكل القديم، الذي يكون قد فقد صفته الجمالية". وعليه، فأي اختلاف في النصوص الأدبية يرجع أساسا إلى الاستعمال النوعي والمميز للغة، وهو ما يجعل من جمالية هذه النصوص مرتبطة على وجه الخصوص ببنيتها الشكلية.

وهكذا، استطاعت المدرسة الشكلانية الروسية قطع الصلة مع الدراسات المعيارية والخارجية التي سيطرت على النقد الأدبي، لتفتح توجهات جديدة في البحث امتدت إلى مجالي الشعر والسرد، وذلك من خلال ما قدمه كل من "أوسيب بريك" و "رومان ياكبسون" و"بوريس إخنباوم" و"توماشيفسكي" و"فيكتور شلوفسكي" و"فلاديمير بروب" ... لتكون بذلك أحد أهم المصادر التي أسهمت في تبلور المنهج البنيوي فيما بعد.

استنادا إلى ما سبق، يمكن القول إن المدرسة البنيوية برزت بوصفها توجها نظريا ومنهجيا، مثل تتويجا لجهود حركات سبقتها رفضت أي إسقاط خارجي على ما يشكل جوهر النص وأساسه، وكأنا بها ترفع شعار دراسة النص الأدبي في ذاته ومن أجل ذاته.

**في تحديد مفهوم البنيوية:**  
إذا ما عدنا إلى الدلالة اللغوية للفظ "بنية" وجدناها مشتقة من الفعل الثلاثي "بنى"، وهي في المعجم الوسيط "هيئة البناء، ومنه بنية الكلمة: أي صيغتها". أما من حيث الدلالة الاصطلاحية، فنجد "معجم المصطلحات الأدبية" يقدم التعريف التالي: "البنية نظام تحويلي، يشتمل على قوانين، ويغتني عبر لعبة تحولاته نفسها، دون أن تتجاوز هذه التحولات حدوده، أو تلتجئ إلى عناصر خارجية. وتشتمل البنية على ثلاث سمات، هي:

1. الكلية(الشمولية) وتعني خضوع العناصر التي تُشكّل البنية لقوانين تُميّز المجموعة كمجموعة، أو الكل ككلّ واحد، وهذه الخاصية انطلقت منها البنيوية في نقدها للأدب من المُسَلَّمة القائلة إنّ البنية تكتفي بذاتها، ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى عناصر غريبة عنها وعن طبيعتها، فالعمل الأدبي إذًا يخضع لعدة قواعد وقوانين تطبع هذه العناصر بصفات تختص بها هذه العناصر عن غيرها، أي أنّ البنيوية تضيف طابعًا من التركيبة على العمل الأدبي، مثل خاصية شمولية البنية وكليتها التي لا تسمح بالاكتفاء بأجزاء منها عند الدراسة، وكذا لا تسمح بإدخال ما ليس منها؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى تغيير في البنية
2. التحوليعني أنّ هناك قانونًا داخليًّا يقوم بالتغيرات داخل البنية التي لا يتبقى في حالة ثابتة فهي دائمة التغير، فكل عنصر من عناصر المنهج يتضمن جزءًا من البناء الداخلي للعمل الأدبي وله دور في البناء الهيكلي للعمل، وهو ما يعطي النص عملية التجدد لكون النّص الخاضع للتحولات الداخلية حاملًا لأفكار في داخله منتجًا لأفكار جديدة إذا ما دخلت على البنية التحولات
3. التنظيم الذاتي(الانضباط الداخلي) أي أنّ البنية تستطيع تنظيم ذاتها بذاتها لتحافظ على وحدتها واستمراريتها، فكما يقول بياجي إنّ أي بنية باستطاعتها ضبط نفسها ضبطًا ذاتيًّا يؤدي للحفاظ عليها، ويضمن لها نوعًا من الانغلاق الإيجابي، وهو ما يجعل البنية تحكم الذاتية بمكوناتها، بحيث لا تحتاج إلى شيء آخر يلجأ المتلقي ليستعين به على فهمها ودراستها وتذوقها.

وهي مفهوم تجريدي لإخضاع الأشكال إلى طرق استيعابها." وهو تعريف لا يخرج عن المفهوم الذي تورده أغلب الدراسات، وقد وضعه "جون بياجيه" للبنية، حيث اعتبرها "نسقا من التحولات يحتوي على قوانينه الخاصة، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به هذه التحولات نفسها، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق أو أن تستعين بعناصر خارجية، وبإيجاز فالبنية تتألف من ثلاث خصائص هي: الكلية/ التحولات/ الضبط الذاتي."

وهكذا، يظهر أن البنيوية Structuralisme تنسب إلى مصطلح بنية Structure، فالغربيون يروا أنها "مشتقة من الأصل اللاتيني Stuere الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى معين"

**مبادئ المنهج البنيوي في النقد الأدبي**

ما هي أهم الأسس التي قام عليها المنهج البنيوي؟

انطلاقًا من هذا الفهم البسيط يمكن تحديد الأسس التي تقوم عليها البنيوية الكشف عن العلاقات المُتشابكة: بين عناصر العمل وموضع البحث، فهي بالدرجة الأولى تحليل للعلاقات. البنيوية لا تبحث عن المحتوى أو الشكل: أو عن المحتوى في إطار الشكل، بل تبحث عن الحقيقة التي تختفي وراء الظاهر من خلال العمل نفسه، وليس من خلال أي شيء خارج عنه. توجيه العناصر نحو كلية العمل أو نظامه: وليس نظام العمل أو الشيء سوى حقيقته.

**مميزات التحليل البنيوي ومنطلقاته:**  
تمثل البنيوية منهجا وصفيا يرى في العمل الأدبي نصا مغلقا على نفسه، له نظامه الداخلي الذي يكسبه وحدته، وهو نظام لا يكمن في ترتيب عناصر النص، وإنما يكمن في تلك الشبكة من العلاقات التي ينتظم وفقها. ولا غرابة في ذلك ما دامت "البنيوية الأدبية في جوهرها تركز على أدبية الأدب، وليس على وظيفة الأدب أو معنى النص، أي أن الناقد البنيوي يهتم في المقام الأول بتحديد الخصائص التي تجعل الأدب أدبا، التي تجعل القصة أو الرواية أو القصيدة نصا أدبيا."

لقد ركزت البنيوية اهتماماتها على بنية العمل الأدبي بهدف تبيان نظام اشتغاله، وذلك من خلال تحليله تحليلا داخليا، والبحث في نسقه والكشف عن العلاقات المتحكمة فيه و"تراتبها والعناصر المهيمنة على غيرها وكيفية تولدها ثم ـ وهذا أهم شيء ـ كيفية أدائها لوظائفها الجمالية". ومما لا شك فيه أن أبحاث البنيويين في مجال الأدب تركزت على الأنظمة اللغوية ومدلولاتها الأدبية، وهو ما نتج عنه تنوع النماذج البنيوية التي تم تناول النص الأدبي وفقها. غير أن ما يجمع البنيويين في نظرتهم للأدب هو دفاعهم عن خصوصية الأدب واستقلاله بموضوعه ومادته اللغوية، رافعين "شعار موت المؤلف لكي يضعوا حدا للتيارات النفسية والاجتماعية في دراسة الأدب ونقده، وبدأ تركيزهم على النص ذاته بغض النظر عن مؤلفه، أيا كان هذا المؤلف والعصر الذي ينتمي إليه والمعلومات المتصلة به. "

ولعل أهم ما ميز البنيوية هو تحليلها النص الأدبي استنادا إلى مستويات متعددة ومتداخلة بنيويا لا يمكن الفصل بينها، على اعتبار أن العمل الأدبي يعكس "كلا مكونا من عناصر مختلفة متكاملة فيما بينها، على أساس مستويات متعددة تمضي في كلا الاتجاهين الأفقي والرأسي، في نظام متعدد الجوانب متكامل الوظائف في النطاق الكلي الشامل". ويمكن تقديم هذه المستويات التي عرض لها "صلاح فضل" انطلاقا مما اتفق عليه عدد من النقاد، على الشكل التالي:

أ ـ المستوى الصوتي: تدرس فيه الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم وإيقاع.

ب ـ المستوى الصرفي: تطرح فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة.

ج ـ المستوى المعجمي: تعالج فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والتجريدية والحيوية، وكذا المستوى الأسلوبي لها.

د ـ المستوى النحوي: يخصص لدراسة تأليف وتركيب الجمل وطرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية.

هـ ـ مستوى القول: يهتم بتحليل تراكيب الجمل وطرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية.

و ـ المستوى الدلالي: يركز على تحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة، والصور المتصلة بالأنظمة الخارجة عن حدود اللغة، والتي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب والشعر.

ز ـ المستوى الرمزي: يؤدي إلى استنتاج وتركيب ما تقوم به المستويات السابقة من دور الدال الجديد، الذي ينتج مدلولا أدبيا جديدا يقود بدوره إلى المعنى الثاني، أو ما يسمى باللغة داخل اللغة.

ولكل مستوى من هذه المستويات قوانينه البنائية التي عبرها تتحدد البنية الأدبية المتكاملة، على أن ذلك لا يعني التماهي بين الأجناس الأدبية بقدر ما يؤكد على خصوصية كل جنس أدبي ونظامه المميز له عن غيره من الأجناس.

**أنواع المنهج البنيوي في النقد الأدبي**

1.البنيوية التكوينية

الفن له وظيفتان -من وجهة نظر البنيوية التكوينية- وهما: وظيفة اجتماعية ووظيفة فنية آلية، غير أن القيمة الجمالية هي المعيارالأساس، ويعد لوسيان غولدمان مؤسس هذه البنيوية التي لم تستطع النظر للنص كبنية منعزلة تمامًا عن الواقع الذي أنتجت فيه، بل ترى أنّ الأدب تعبير عن هذا الواقع، ولكنها تتفق مع البنيوية الشكلية في ضرورة إهمال مؤلف العمل الأدبي وعدم إعطائه أي قيمة فعلية في أثناء التحليل، لكنها عند إهمال المؤلف تسد هذا النقص بربط العمل الادبي بالمجتمع الذي خرج منه، وما يتضمنه هذا المجتمع من صراعات ومناورات كما يرى البنيويون الماركسيون. 2.البنيوية الشكلية

تُهاجم البنيوية الأدبية المناهج التي تعتني بدراسة الأدب من خلال الظروف والعوامل الخارجية ولا تفهمه أو تحلله إلّا في ضوئها، وعليه فالبنيوية الشكلية منهج يدعو لتحليل النصوص بالاكتفاء بها، بمعنى أنّ البنيويين لا يؤمنون بذاتية القارئ، فالقارئ عندهم مجموعة من الصفات التي بنيت وتشكلت من خلال القراءات السابقة لأعمال أدبية متنوعة، وتقدم ردود أفعاله وتقييماته لكل عمل أدبي جديد يُقرأ ضوء هذه الصفات، فمثلًا حين يقدم الكاتب أحد شخصيات روايته بطريقة معينة، يستطيع القارئ في ضوء الروايات التي قرأها من قبل تقديم طرق أخرى لتقديم هذه الشحصية.  
  
**نظرية موت المؤلف في المنهج البنيوي**

ما هي أهم الإسهامات التي قدمتها نظرية موت المؤلف؟ فضلت البنيوية الاهتمام بالبنية الدلالية التي حملت مضامين العمل الأدبي ودعت إلى تهميش المؤلف وإماتته، وهو ما أدّى إلى إلغاء دور التاريخ وعدم الاهتمام به لكونه قد قام على احتكار المعاني في المناهج النقدية التي أعطته دورًا مهمًا في تحليلاتها، وما كان لديهم من تحكيم للعقل الذي حكم على التاريخ بأنه لم يكن له أي دور في تطور المعارف الإنسانية منذ عصر النهضة الأوروبية حتى عصرنا الحاضر، ونظرية موت المؤلف أسهمت جديًا في الاعتماد على دور القارئ في فهم سياقات النصوص والوصول إلى دلالاتها.  
  
**أعلام المنهج البنيوي في النقد الأدبي**

1. فريدينان دو سوسير: كاتب وعالم لغوي سويسري وهو مؤسس علم اللغة الحديث، تميز تأثير سوسير بالتوجيه العام الذي قدمه لعلم اللغة الذي اتّصف بالفاعلية العميقة وبعدم إثارة الجدل بالفعل إلا نادرًا، وتميّز بمجموعة من المفاهيم التي ساعد على رفع منزلتها وهي ثنائياته الشهيرة.
2. رولان بارت: كاتب مقالات وناقد اجتماعي وأدبي فرنسي، كانت كتاباته حول السيميائية والدراسة الرسمية للرموز والعلامات التي ابتكرها فرديناند دي سوسير، ساعد في تأسيس البنيوية والنقد الجديد كحركات فكرية رائدة.
3. ميشيل فوكو: الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي، أحد أكثر الباحثين تأثيرًا وإثارة للجدل في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حصل على فرصة الدراسة في تاريخ أنظمة الفكر في الكلية الفرنسية، والتي تعد أرقى مؤسسة ما بعد الثانوية في فرنسا.
4. جاك لاكان: محلل نفسي فرنسي اكتسب شهرة دولية كمترجم أصلي لأعمال سيغموند فرويد، امتدّ التأثير الذي اكتسبه إلى ما وراء مجال التحليل النفسي ليجعله أحد الشخصيات المهيمنة في الحياة الثقافية الفرنسية خلال السبعينيات في ممارسته للتحليل النفسي، كان لاكان معروفًا بأساليبه العلاجية غير التقليدية وحتى الغريبة  
     
   **البنيوية في النقد العربي:**  
   انتشرت البنيوية وهيمنت على النقد العربي خلال سبعينات القرن العشرين، فتلقفها النقاد العرب المحدثون مثلما كانوا قد أخذوا بغيرها من المناهج، مستفيدين من بعض الترجمات التي عرفت بها وبمميزاتها وطرائقها في تحليل النصوص الأدبية، فضلا عن بعض الدراسات التي أنجزها بعض النقاد من قبيل: يمنى العيد وكمال أبو ديب ومحمد برادة ومحمد بنيس وجابر عصفور وحميد لحمداني وعبد الفتاح كيليطو ... وغيرهم من النقاد الذين أغنوا الممارسة النقدية ودفعوا بعدد من الباحثين إلى إعادة قراءة ودراسة كثير من النصوص التي ظلت حبيسة الخزائن والمكتبات تنتظر من ينفض عنها الغبار ويعيد إليها الحياة من جديد.

 ويعتبر كمال أبو ديب أبرز رواد المنهج البنيوي في العالم العربي، ذلك أنه أصل له وقام بتطبيقه على الشعر العربي في كتابين: الأول "جدلية الخفاء والتجلي، دراسة بنيوية في الشعر" طبعة 1981، والثاني عنونه بـ"الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي" طبعة 1986.

ويرجع اهتمام أغلب نقاد العقود الأخيرة من القرن العشرين بهذا المنهج إلى إحساسهم بقصور المناهج النقدية السابقة عن تقديم ذاك التحليل المتكامل للنص الأدبي، فضلا عن الرغبة في الانخراط في التحولات التي يعرفها النقد الأدبي في ظل الاحتكاك بالحداثة الغربية، والتي شكلت البنيوية أبرز ملامحها. وهكذا، أسهم المنهج البنيوي في تجديد الخطاب النقدي السائد في العالم العربي، وبلورة رؤية نقدية جديدة فتحت معالم رحبة للخوض في كثير من النصوص والبحث في أنظمتها الداخلية.

**خاتمة**:  
من كل ما سبق ذكره، نستطيع القول إن الحركة البنيوية امتدت إلى مجالات معرفية عديدة، ومنها النقد الأدبي. وقد كان لها حضورها المتميز في الساحة النقدية، خاصة وأنها أقامت مبادئها عبر عملية هدم لمختلف التصورات التي قدمتها المناهج النقدية التي سبقتها، وأسست مفاهيم جديدة تعلي من شأن النص ونظامه الداخلي، وترفض ربطه بأي معطى خارجي، على اعتبار أن الجوهر الداخلي للنص هو وحده الكفيل بإبراز قيمته الفنية وليست تلك الافتراضات التي يتم إسقاطها عليه.

إن العمل الأدبي من وجهة نظر بنيوية له وجوده الخاص، وله أيضا منطقه ونسقه المميز، بحيث إنه يعكس بنية مستقلة تتأسس على مجموعة من العلاقات الدقيقة التي تسهم في تشكيل بنية كلية متعددة المستويات ومتداخلة، الواحد منها يستدعي حضور الآخر، وهي التي تجعل من العمل الأدبي عملا أدبيا، يفرض على الناقد البنيوي البحث عن مظاهر الأدبية فيه ومختلف عناصرها، استنادا إلى عملية الوصف التي تستلزم دراسة هذا العمل في ذاته ومن أجل ذاته.

المنهج البنيوي

يعتبر عالم النفس الفرنسي جان بياجيه Jean Piaget اول من وضع التعريف للبنيوية . فانه يرى ان من الممكن ملاحظة البنية في نسق الكيانات وهي تشمل الافكار الآتية :

- فكرة الكلية Wholeness الصورة الشموليه

- فكرة التحول Transformation قوانين التماسك الشكلي الداخلي

- فكرة الانتظام الذاتي Self- regulation وهي قوانين داخلية تساعد على تكيُّف البنية مع التحولات الخارجية ولذا تحافظ على استمراريتها .

ولعل اهم هذه الافكار هي فكرة الكلية او الصورة الشموليه حيث تربط الاجزاء ببعضها وفق علاقة معينة مشتقة من " الكل " وتعبر عن صورتها الشموليه

كانت اللغة من اول الحقول التي طبقت نظرية البنيوية في مناهجها اذ وضع سوسيير نظريته في بنيوية اللغة التي صورت اللغة على انها نظام من الاشارات تربطها علاقات تحكمها قوانين تركيبية Syntagmatic وتنظيمية Systematic

كما ان السيميولوجية ( الاشاراتية ) Semiotics وهو العلم الذي اختص بنظام الاشارات ضمن مجتمع ما , قد تاثر بالبنيوية كنظرية , ويمكن الاستفادة من التحليل السيميائي لتوضيح معاني العمل الادبي والفني

البنيوية لغة: البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما .

واصطلاحا: تطلق على منهج فكري يقوم على البحث عن العلاقات التي تعطي للعناصر المتحدة قيمة وضعها في مجموع منظم مما يجعل من الممكن إدراك هذه المجموعات في أوضاعها الدالة.

وجاء في تعريف البنيوية، أو التركيبية : هي مذهب من مذاهب منهجية الفلسفة والعلوم مؤداه الاهتمام أولا بالنظام العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض على حساب العناصر المكونة له أما تلك العناصر فلا يعنى بها هذا المذهب إلا من حيث ارتباطها وتأثرها بعضها ببعض في نظام منطقي مركب، وقد امتدت هذه النظرية إلى علوم اللغة عامة، وعلم الأسلوب خاصة إذ استخدمها العلماء أساسا للتمييز الثنائي الذي يعتبر أصلا لدراسة النص دراسة لغوية، وهذا التمييز الثنائي هو بين اللغة والكلام في اصطلاح سوسير أو بين نظام الكلام والنص في اصطلاح هيلمسلف L.Hjelmslev أو بين القدرة الكلامية، والأداء الفعلي للكلام في اصطلاح نُوام تشومسكي Noam Chomsky أو بين مفتاح الكلام Code والرسالة الفعلية Massage في اصطلاح رومان ياكوبسن Roman Jakobson .

واشتقت كلمة البنية من البناء، فالبناء لغة هو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض نقول: بنيت البناء أبنيه، وهي تعني النظام أو النسق المستند إلى المعقولية، وهي الصورة، أو التعميم الكلي الذي ترتبط أجزاؤه بشكل منطقي يكشف عن النسق العقلي داخل البيئة، ولهذا يجب أن نفرق بين أمرين هل في الموضوع بنية أم أن الموضوع هو بنية؟ فالبنية لا بد أن تتألف من الكلية والتحولات، والتنظيم الذاتي .

وتدين البنيوية بابتداعها وظهورها إلى العالم السويسري فردينان دي سوسير 1857-1913 أستاذ اللسانيات بجامعة جنيف، وكانت في بادئ أمرها محاضرات درسية في علم اللغة ألقيت على طلابه، ومات رائدها دون دون اكمال مشروعه، فتولى تلاميذه نشرها وفاء له حتى إذا كان عام 1928 ظهرت البنيوية جلية تحت أضواء المؤتمر الدولي في لاهاي بهولندة عندما قدم ثلاثة علماء روس هم ياكوبسون ، وكارشفسكي، وتروتبسكوي بحثا مشتركا كشفوا فيه عن الأصول الأولى للبنيوية، وبعد سنة من هذا التاريخ أصدر الثلاثة بيانا في المؤتمر الأول للغويين السلاف المنقعد في براغ استخدموا فيه مصطلح بنية بمعناها السائد في أيامنا هذه ودعوا صراحة إلى اتباع المنهج البنيوي في الدراسات اللغوية.

فالنقد البنيوي يهتم باللغة، ولاعلاقة له بالمؤلف، أو المجتمع وأساسه التحليل، وليس التقويم فالشكل الأدبي تجربة تبدأ بالنص وتنتهي معه،وكلما تعمقنا في القراءة التحليلية تكشف لنا أبنية العمل الأدبي.

وهو - النقد البنيوي- يرفض مفهوم (( المؤلف الأدبي)) لأن هذا المفهوم يعني توحيد النصوص، وصهرها في قالب واحد لأنه يرتبط بعلاقة مباشرة بين الإنسان، والعمل الأدبي، ويرفض النقد البنيوي فكرة التسجيل الواقعي التي ((تفترض أسبقية الموضوع على وجوده الكتابي، وما يترتب على هذه الفكرة من صفات الصدق، والإخلاص، والأمانة التي تنسب عادة إلى الكاتب الجيد وفي الوقت نفسه ينبذ البنيويون مبادئ الإلهام، والخلق الأدبي ورسالة الكاتب ،أو العمل الفني إذْ يرون أن الإيمان بهذه المبادئ يؤدي في النهاية إلى إلغاء النص والقضاء على وجوده.

و يعد - النقد البنيوي - العمل الأدبي كلا مكونا من عناصر مختلفة متكاملة فيما بينها على أساس مستويات متعددة تمضي في كلا الاتجاهين الأفقي والرأسي في نظام متعدد الجوانب متكامل الوظائف في النطاق الكلي الشامل، ويقترح بعض البنيويين ترتيب هذه المستويات على النحو الآتي:

1) المستوى الصوتي حيث تدرس فيه الحروف وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم .

2) المستوى الصرفي وتدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة.

3) المستوى المعجمي، وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية، والتجريدية، والحيوية، والمستوى الأسلوبي بها.

4) المستوى النحوي لدراسة تأليف وتركيب الجمل، وطرق تكوينها، وخصائصها الدلالية والجمالية.

5) مستوى القول لتحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة خصائصها الأساسية والثانوية .

6) المستوى الدلالي الذي يشغل بتحليل المعاني المباشرة والصور المتصلة بالأنظمة الخارجة عن حدود اللغة التي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع وتمارس وظيفتها على درجات الأدب والشعر.

7) المستوى الرمزي الذي تقوم فيه المستويات بدور الدال الجديد الذي ينتج مدلولا أدبيا جديدا يقود بدوره إلى المعنى الثاني، أو ما يسمى باللغة داخل اللغة.

وللنقاد آراء في المنهج البنيوي، فقد وقفوا على إيجابيته وسلبياته، فمن إيجابياته أنه يفرض على القارئ ثقافة لغوية تمكنه من فهم النصوص بيد أن هذا فيه جانب سلبي، وهو الحد من انتشار المعرفة مما يخلق نوعا من (الارستقراطية الأدبية المحدودة) ومن إيجابياته انه يحول القارئ من متلق استهلاكي إلى مشارك بفعالية في فهم النص، وهذا يتطلب منه يقظة عالية في تصور إمكانات النص وتوقع الحلول المختلفة للقضايا الفنية أو التشكيلة المعروضة. ويقول أحد النقاد البنيوين العرب (( ليست البنيوية فلسفة لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود، ولأنها كذلك فهي تثوير جذري للفكر وعلاقته بالعالم وموقعه منه، وبإزائه في اللغة لا تغير البنيوية اللغة، وفي المجتمع لا تغير البنيوية المجتمع، وفي الشعر لا تغير البنيوية الشعر لكنها بصرامتها وإصرارها على الاكتناه المتعمق والإدراك متعدد الأبعاد والغوص على المكونات تغيّر الفكر المعاين للغة والمجتمع، والشعر، وتحوله إلى فكر متسائل قلق متوثب مكتنه متقص فكر جدلي شمولي في رهافة الفكر الخالق، وعلى مستواه من اكتمال التصوير والإبداع.

ومن سلبيات المنهج البنيوي التجاوز المتعمد لعالم القيم الذي ينشأ فيه الكاتب، ويتأثر به.

يعد "بلومفيلد 1949م" Bloomfield علما من أعلام الدراسات اللغوية في أمريكا، وكتابه "اللغة" يعد "إنجيل علم اللغة " ؛ إذ إن البحث اللغوي الأمريكي – مهما تعددت اتجاهاته ومناهجه- يدين بالفضل لهذا العالم ومبادئه ، سواء أكان ذلك بالاتفاق معه أو بمعارضته.

والحق أن "بلومفيلد" في أمريكا يقع موقع سوسير في أوروبا من حيث: الأهمية في التأثير وجدة الأفكار، وتنوعها ، وكثرة الأتباع والتلاميذ . لما اتسمت به أفكاره من عمق ومذاق جديد غير معهود آنذاك. وقد أفاد "بلومفيلد" من المعين السويسري؛ إذ تأثر به و أخذ عنه فكرتين مهمتين:

الفكرة الأولى: النظرة السنكرونية في التعامل مع اللغة ، والأخرى: الفكرة البنيوية للغة في عموم معناها ، وهما نظرتان أو فكرتان متلازمتان في المنهج البنيوي في عمومه ، فاستطاع أن يكوّن مدرسة أو منهجا لغويا واضحا ومستقلا: هي منهج السلوكية أو مدرسة "بيل" ، وهو اسم الجامعة التي كان يعمل بها أستاذا.

والبنيوية عند "بلومفيد" مبدأ من منظومة من المبادئ التي تكون منهجا عاما لا يمكن فهمه أو التعرف عليه بوجه مقبول إلا بالنظر في جملة هذه المبادئ بصورة ما، فلقد التزم "بلومفيلد" بالمنهج البنيوي الوصفي ولكن بطريقة خاصة أصبحت علما عليه وعلى مدرسته، ولعل اتصاله بعالم النفس السلوكي "واطسن " – أبو المنهج السلوكي الذي فضل استحداث المنهج السلوكي كثورة على المنهج الذهني - كان له أكبر الأثر في توجيه نظريته اللغوية وفق تعاليم ومبادئ المذهب السلوكي ، وهو مذهب يرى أن اختلاف الناس يرجع إلى اختلاف البيئة التي يعيشون فيها وأن سلوكهم رهن هذه البيئة.

واللغة عند "بلومفيلد" ليست إلا نوعا من الاستجابات الصوتية لحدث معين ؛ فالإنسان يسمع جملة معينة ، أو يرى شيئا ، أو يشعر بشعور فيتولد عن ذلك استجابة كلامية ، دون أن ترتبط هذة الاستجابة بأي صورة من صور التفكير العقلي ، والإنسان في هذا يشبه الآلة أو حيوان .

وبناء على هذا الفهم لطبيعة اللغة ووظيفتها عند "بلومفيلد" وأتباعه شاع في تاريخ الفكر اللغوي أن هذه المدرسة رفضت دراسة المعنى وركزت في دراستها اللغوية على الجانب المادي الطبيعي ، وهو الصوت والبنية التي يتحقق فيها توزيع الأصوات على شكل فونيمات ومورفيمات ؛ لأنه يمثل المادة المناسبة للبحث الموضوعي المضبوط ، دون المعنى الذي قد يفتح مجالات للأحكام الذاتية الانطباعية .

والواقع أن"بلومفيلد" لم يرفض دراسة المعنى ، بل لقد أشار إلى أهمية العلاقة بين الصوت والمعنى . وإنما كان اهتمامه موجها إلى الكشف عن القوانين العامة التي تحكم السلوك اللغوي والتي قد تؤدي إلى الكشف عن القوانين التي تحكم النفس البشرية .ولذلك رأى أنه لكي نعرف المعنى معرفة دقيقة لا بد أن نكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم ، والمعرفة الإنسانية لم تصل بعد إلى هذه الدرجة .

وبذلك أصبح بلومفيلد من دعاة نبذ العقلانية في علم اللغة وإحلال المذهب الشكلي الآلي ، الذي به تتحقق الموضوعية. أي دراسة سلوك العناصر اللغوية داخل البنية اللغوية من خلال المواضع والمواقع التي تحتلها في الكلام، والاستعاضة عن التعريفات العقلية لها التي كان يدور حولها الفكر اللغوي التقليدي بهذه الدراسة. فهذه الوحدات هي وحدات محدودة ولكنها ذات قدرات توزيعية غير محدودة .ومن ثمّ أصبحت التوزيعية هي المنهج الذي اعتمد عليه "بلومفيلد" في وصف ودراسة اللغة .